

١٠ دقائق بلقنا تلاً قليل الارتفاع يفتح من ورائه وادي سويك . ثم وجدنا سيننا قد
تيسر فانبسطت امامنا سهول واسعة من الرمل تمتد الى جهة الشمال الغربي . فوكنا المطايا
وسرنا مدة الى الجنوب الغربي قطعنا الارمال الى ان حططنا الرحال الساعة ١٥٥ عند
حلف جبل سراييط فكانت المسافة التي قطعناها على ظهر الجبال تسع ساعات تبلغ
من الغارة ١٠ كيلومتراً ولو امكنا السير على خط مستقيم بلغت ٢٣ كيلومتراً فقط
فدعنا الحيام في وادي سراييط في بقعة كثيرة العشب لينة على مقربة من بعض
شجيرات الأثل الشديد الخضرة . وكانت الرمال تحيط بنا من كل صوب ليس امامنا
الأ الجبل الغربي مع آسكاه المرتفعة . وكانت الشمس قد اوشكت على الغيب
وتلطف حر النهار بينما كنا نرى القمر يعلو الى السماء صاعداً من وراء الجبل الغربي . وكان
اديم الجوّ صافياً لا يشوبه غيم . فلاح لنا اذ ذلك الطبيعة بجبال حنفا في تلك
البادية القفرة التي لا يكتنحها انس ولا يصفى فيها صافر . وبعد قليل اخذت النجوم
تسبح في السماء بهاء وهيبة فخلناها كصايح موقدة في هذا هيكل الطبيعة المهيب
الذي كنا نحن كباده في تلك الصحاري الحيقة نسبحنا الخالق في مخلوقاته وعظمتاه
في مصنوعاته سبحانه لا اله غيره (التبعة لعدد آخر)

أثر مجهول لابن سينا

عني بنشره حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي (تبة)

في تدير الرجل ولده

ان من حقّ الولد على والديه إحسان تسميته ثم اختيار ظهره كي لا تكون حقاً .
ولا ورها . (١) ولا ذات عاهة فان اللبن يهدي كما قيل . فاذا فطم الصبي عن الرضاع
يُبدى بتأديبه ورياضة اخلاقه قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة وتفاجئه الشم
الذميمة فان الصبي يتبادر اليه مساوي الاخلاق وتتناال عليه الضرائب الحيثة فما
تمسك منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له منارقة ولا عنه نزوعاً فينبغي لنم الصبي ان
يحبته مقابح الاخلاق ويتكب عنه معايب العادات بالترهيب والترغيب والايناس

والإيماء وبالاعراض والإقبال وبالحمد مرةً وبالتوسيع أخرى ما كان كافياً . فان احتاج الى الإستعانة باليد لم يُحجم عنه وليكن أولُ الضرب قليلاً مرجحاً كما اشار به الحكماء . قبلُ بعد الارهاب الشديد وبعد إعداد الشفاء فان الضربة الاولى اذا كانت موجعةً ساء ظنُّ الصبي بها بعدها ولشدتُ منها خوفاً واذا كانت الاولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يخجل به .

فاذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهدأ للتلقين ووعى سمعهُ أخذ في تعلم القرآن وُصِرَ له حروف الهجاء . ولتقن معالم الدين . وينبغي ان يروي الصبي الرجز ثم القصيدة فان رواية الرجز اسهل وحفظه امكن لان بيوتهُ اقصر ووزنه أخف . ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الادب ومدح العلم وذم الجهل ويبس السخف وما حُث فيه على برِّ الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الاخلاق وينبغي ان يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الاخلاق حادثاً بتخريج الصبيان وقرراً رزيناً بعيداً من الخفة والسخف قليل التبدل والاسترسال بحضرة الصبي غير كثر (١) ولا جامد بل حلواً ليبياً ذا مرزوة ونظافة ونزاهة قد خدم سراً (٢) الناس وعرف ما يتباهون به من الاخلاق اللوك ويتعابرون به من أخلاق السفة وعرف آداب المجالسة وآداب المذاكرة (٦٧) والمحادثة والمعاشرة

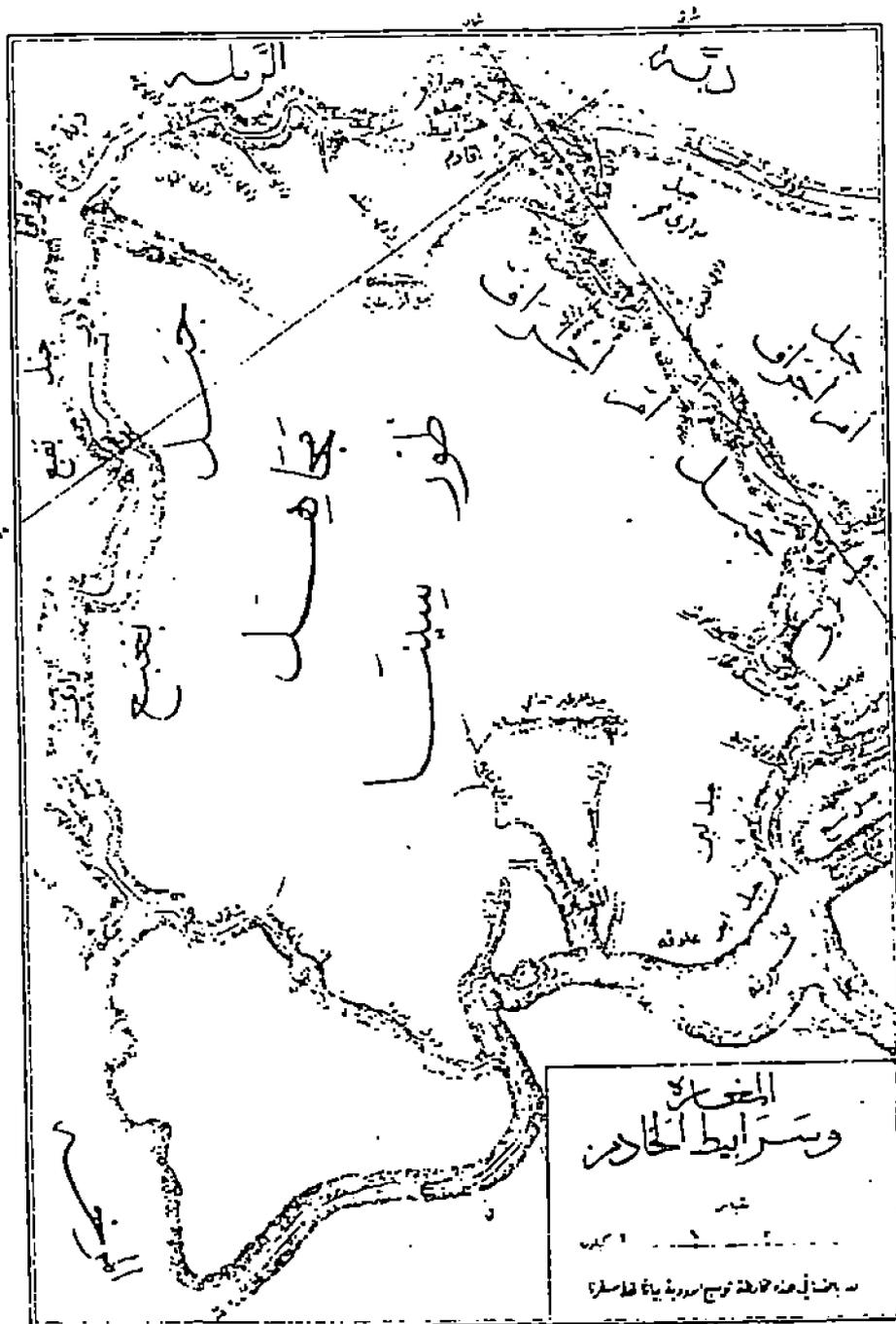
وينبغي ان يكون مع الصبي في مكتبه صبيةً من اولاد الجيلة (٣) حسنة آدابهم مرضيةً عاداتهم فان الصبي عن الصبي ألقت وهو عنه أخذُ وبه آنس . وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب اجلب الاشياء لضجرهما فاذا راح المؤدب بين الصبي والصبي كان ذلك أنقى للسامة وأبقى للنشاط وأحرص للصبي على التعلم والتخرج فانه يباهي الصبيان مرةً ويغبطهم مرةً ويألف من القصور عن شأوهم (٤) مرةً . ثم يحادث الصبيان والمحادثة تغيد انشراح العقل وتحلُّ مُنعةً الفهم . لان كل واحدٍ من اولئك انما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه والتعجب منه سبباً لحفظه وداعياً الى التحدث به . ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزارة ويتكلمون

(٢) اي وجوههم

(١) متقبض الوجه عابس

(٣) النظام والسادة

(٤) الشاؤر الامد والنبابة



ويتماوضون الحرق وكل ذلك من أسباب الميارة والباهاة والمساجة (١) والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لميقتهم وقرين لمادتهم
 واذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ اصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يُراد ان تكون صناعته فوجه لطريقه . فان أراد (٢) به الكتابة اضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس وعماورائهم وما لبث ذلك وطورح الحساب ودخل به الديوان وعُني بخطه . وان أريد أخرى أخذ به فيها بعد ان يعلم مدبر الصبي ان ليس كل صناعة يورثها الصبي ممكنة له مؤاتية لكن ما شاكل طبيعته وناسبه وانته لو كانت الآداب والصناعات تحيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة اذن ما كان أحد يُغفل من الأدب وعارياً من صناعة واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات . ومن الدليل على ما قلنا سهولة بعض الآداب على قوم وصعوبته على آخرين ولذلك نرى واحداً من الناس تواتيه البلاغة وآخر يواتيه النحو وآخر يواتيه الشعر وآخر يواتيه الحُجُب وآخر يواتيه النسب . ولهذا يُقال بلاغة القلم وبلاغة الشعر . فاذا خرجت عن هذه العاطبة الى طبقة أخرى وجدت واحداً يختار علم الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب وهكذا تجد سائر الطبقات اذا اختلفت طبقة طبقة حتى تدور عليها جميعها . ولهذا الاختيارات وهذه المناسبات والمشاكلات اسباب غامضة وعلل خفية تدق عن افهام البشر وتلطف عن التماس والتظنر لا يلمسها إلا الله جل ذكره

ربما نافر طباعُ انسان جميع الآداب والصنائع فلم يلمت منها بشيء . ومن الدليل على ذلك أن اناساً من اهل العقل راموا تاديب اولادهم واجتهدوا في ذلك وانتقوا فيه الاموال فلم يدركوا من ذلك ما حارلوا . فلذلك ينبغي لمُدبر الصبي اذا رام اختيار الصناعة ان يُوزن اولاً طبع الصبي ويسر قريحته ويخبر ذكاه فيختار له الصناعات بحسب ذلك فاذا اختار له احدى الصناعات تعرف قدر ميله اليها ورغبته فيها ونظر هل جرت منه على عرفان ام لا وهل أدواته وآلاته ماعدة له عليها ام

(١) المفاخرة والمباراة

(٢) اي استاذهُ ومدبرهُ

خاذلة ثم بيت العزم فان ذلك أحزم في التدبير وأبعد من أن تذهب أيام النبي (687) فبأ لا يروا تيه ضياعاً

فاذا وغل الصبي في صناعته بعض الرغول فمن التدبير ان يعرض للكسب ويحمل على التدبش منها فانه يحصل في ذلك له متنتان احدهما اذا ذاق حلاوة الكسب بصناعته وعرف غناها وجداهما عظيمين لم يضجع (١) في إحكامها وبلوغ أقتصاها والثانية أنه يعتاد طلب المعيشة قبل ان يستوطني حال الكفاية فأنما قل ما رأينا من أبناء المياسير من سلم من الركون الى مال ابيه وما أعد له من الكفاية. فلنأ عرل على ذلك قطعة عن طلب المعيشة بالصناعة وعن التعالي بلباس الأدب. فاذا كسب الصبي بصناعته فن التدبير ان يزوج ويفرد رحله (٢)

هـ في تدبير الرجل خدمه

ان سبيل سياسة الخدم والقوام من الاتسان سبيل الجوارح من الجسد. وكما ان قرماً قالوا حاجب الرجل وجهه وكتابة قلته ورسوله لانه كذلك قول ان حفدة الرجل يده ورجله لان من كفاك التماطي يدك قد قام عندك مقامها ومن كفاك السعي برجلك قد تاب عنك متاتها ومن حفظ لك ما تحفظه عينك قد كفاك كفايتها. ففناء الخدم عنك ايها الاتسان كثير ونفع القوام آياك جزيل ولولاهم لأرتج دونك باب من الراحة كبير ولأنسد عنك طريق من النعمة مبيع (٣) ولأضطرت الى مواصلة القيام والتمود والى مواترة الأقبال والإدبار وفي ذلك اتاب الجسد وهو يهد من امارات الحفة ودلائل التزق (٤) وسبل المهانة والضمة وفيه سقوط الهيئة وذهاب الرزاة والركانة وبطلان الأبهة وطرح السم والوقار. وبثبات هذه الحصال يباين الخدم الخادم والرئيس المرؤس

فينبغي لك ان تحمد الله عز وجل على ما سخر لك منهم وما كفاك وان تحوطهم

(١) ضجيع في الاسر قصر في

(٢) شواه

(٣) واسع بين

(٤) العجلة في حق وجهل

ولا تُقَصِّمهم وتتقدمهم ولا تهملهم وترتق بهم ولا تخرجهم فانهم بشر يمضون من الكلال واللقوب ومن السامة والفتور ما يسّ البشر وتدعوهم دواعي حاجاتهم وارادات اجسامهم الى ما في طباع البشر ارادته والحاجة اليه وطريق اتخاذ الخدم ان لا يتخذ الانسان خادماً الا بعد المعرفة والاختيار له والى بعد سيره وامتحانه فان لم تستطع ذلك فينبغي ان تعمل فيه التقدير والقراءة والحدس والتوسم وان تُخرب عن الصور المتفاوتة والخلق المضطربة فان الاخلاق تابعة للخلق ومن امثال النُرس: احسن ما في الذمير وجهه . وان تجانب ذوي الماهات كالعمران والعرجان والبرصان ونحوهم وان لا تثق منهم بذي الكيس (١) الكثير والدهاء البين فانه لا يبرى من الحب (٢) ولا يسلم من المكر . ويؤثر اليسير من العقل والحياة على كثير من الشهامة والحنفة

فاذا فرغ من ذلك فليتنظر لاي امر يصلح الخادم الذي يتخذُه واي صناعة يتحل وما الذي يظهر رجحانه فيه من الاعمال فليستدُه اليه وليستكنه اياه ولا يتقلن الخادم من عمل الى عمل ولا يحوّلته من صناعة الى صناعة فان ذلك من امتن أسباب الدمار واترى دواعي الفساد . وما يشبه من يفعل ذلك الا بن يكأف الخيل انكواب (٣) والبقر الإحضار لان كمن انسان بابا من المعارف وثناً من الصناعات قد سمح له به طباعه وأفادته اياه (٦٨) غريزته فصار لديه كالجية التي لا حية في تركها والضريبة (٤) التي لا سبيل الى مفارقتها . فتقل الانسان الخادم بما قد احسنه واتقنه ومارسه ولا به وآله واعتاده الى ما يختاره له برأيه ويتخبه له بارادته مما ينافر طباعه ويضاد جرمه أفسد عليه نظام خدمته وجبره في طريق مهنته فماد كالترييض (٥) ثم لا يُفیده مما نقله اليه بابا الأبنسيان ابواب مما نقله عنه . ومتى عاد به الى الامر الاول رجده فيه أسوأ حالاً منه فيا ثقاه اليه

(١) الطرف والحنفة

(٢) الخدام

(٣) يقال كرب الارض كيراباً اي اثارها ونقلها للزراع

(٤) الضريبة الطبع

(٥) من يكون في اول ما يراض

ولا ينبغي ان يكون تكبير الانسان على الخادم اذا اراد الإنكار عليه صرفة عنه . فان ذلك من دلائل ضيق الصدر وقلة الصبر وخفة الحلم ولانه اذا صرفة احتاج الى غيره بدلاً منه وخلفاً عنه وغيره مثله او قريب منه واذا استمرت به هذه العادة اوشك ان يبقى بلا خادم . بل ينبغي له ان يقرر في قلوب خدمه ان احداً منهم لا يجد الى مفارقة رحله والخروج عن داره وكفه سبيلاً . فان ذلك اتم اللزوم وادل على الوقار والكرم . وبعد فان الخادم لا يتوالى ولا يناصح ولا يشفق ولا يتنظر ولا يحتاط ولا يحامي ولا يذب حتى يتحقق عنده ويصح لديه انه شريك صاحبه في نعمته وقبيله في ملكه وهديته حتى يأمن العزل ولا يجذر الضرف . رمى ظن الخادم أن أساس حرمة غير واطدة ووشائج ذمامه غير راسخة وان مكانه ثابت به عند الذنب يواقة والحزم يفارقه كان مقامه على صاحبه كما بر سبيل فلا يعني بما عناه ولا يتم بما عراه ولم يكن هتاه الأذخيرة يعدها ليوم جفرة صاحبه وظهرة (١) يرجع اليها عند نبوته وازورار جانبه . وليكن عند صاحب خدمه دوزن صرفهم واخراجهم رسوى نذهم واطراحهم منازل من الاستصلاح والتتويم فن استقام له بالتأديب يعوجه واعتدل بالثقات أرداه فليشدده يداً ويوسعه عند الزلة عفواً . ومن راجع الذنب بعد التوبة وتفض المهدي بعد الإجابة فليدقه طرفاً من العقوبة وليسه بعض السطوة ولا يياسن من رشده ما لم تتحل عقدة حياته ويكاشف باصراره . ومن عصاه معصية صلما يلتف دونها ارجنى جناية شتاء لا يقامعها ولا في شرط السياسة اغتفارها فالراي للصاحب البدار الى الخلاص والألا افسد عليه سائر الخدم

واقضت الابواب التي مثلنا فيها ما يحق على الرجل فعله في تدبير نفسه وما يشغل عليه منزله وأنما ذكرنا القليل من الكثير والجمل دون التفسير ولو شرحنا كل باب بما يشا كاه من اخبار الناس واشعارهم لكان الكتاب احسن واكمل الا انه يكون اكبر واطول فأثرنا التخصيف على القارئ والتسهيل على الناظر ولرب قليل اربح من كثير وصغير اتم من كبير والله ولي التوفيق والتيسير . مجزت رسالة التدبير والحمد لله كثيراً دائماً كفاء منته